

مجلة أنثروبولوجية (الأويان) المجلد 16 العدد 01 بتاريخ 15 جانفي 2020م

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ألفاظ الحزن والبكاء في الشعر الشعبي الجزائري - الشاعر أحمد وليد بن القُبي أمودجا¹
The words of sadness and crying in the Algerian popular poetry
- the poet Ahmed Walid Bin Al Qube

د. نوال مساعد

dr. Nawal Messad

الجامعة: محمد بوضياف بالمسيلة الجزائر nawalmessad@gmail.com

University: Mohamed Boudiaf, M'sila, Algeria.

¹Full affiliation, in English

تاريخ الارسال: 2019/04/13م تاريخ القبول: 2019/04/17م

ملخص:

اللغة أو اللهجة عند الشاعر الشعبي هي أدواته في التعبير والبيان، وهي الوسيلة الأولى لتوصيل الأفكار والآراء، فالشاعر الشعبي يُوظفُ مُعْجَمًا لُفْظِيًّا مُتَنَوِّعًا، يَعْكِسُ من خلاله مشاعره وأحاسيسه، فتأتي قصائده مشحونة بمختلف العواطف التي تُترجمها المصطلحات المُنتقاة.

وجاء هذا المقال لِيُبَيِّنَ العلاقة التي تربط بين الاستخدام العفوي للحقول الدلالية من طرف الشاعر الشعبي "أحمد وليد بن القُبي"، وبين اللوحات الفنية الحزينة التي ترسمها ألفاظ الحزن والبكاء لديه، والتي تُذيبُ لُبَّ المَلَقِّي سَامِعًا كَانَ أَوْ قَارِئًا.

الكلمات المفتاحية:

ألفاظ الحزن، ألفاظ البكاء، الشعر الشعبي الجزائري، الشعر الملحون الجزائري، أحمد وليد بن القُبي.

¹ المرسل حشلافي لخضر hachelafi2016@gmail.com

Summary:

Language or dialect is the means by which the poet conveys his/her ideas, opinions and thoughts to the readers. The popular poet uses a diverse terminology to express his/her emotions.

This article emphasizes the relationship between the deliberate use of the semantic fields by the popular poet Ahmed Walid Bin Koubbi and between the sad emotions drawn by the words that express sadness and crying used by our poet which influence the readers' or the listeners' minds.

Keywords:

terms of sadness, terms of crying, the Algerian popular poetry, lyric poetry, Ahmed Walid Bin Koubbi

تمهيد:

اللغة أو اللهجة عند الشاعر الشعبي هي أدواته في التعبير والبيان، وهي الوسيلة الأولى للتوصيل، توصيل الأفكار والآراء، أو نقل الإحساس إلى الآخرين، ومن خلال الاحتكاك بلغة الشعر الملحون نجدتها على ثلاثة أنواع؛ الأول: المتفصح أي اللهجة القريبة من الفصحى بشكل كبير، والثاني: العامي البحت أي اللهجة الدارجة العادية التي تقترب من اللغة المستخدمة في الحياة اليومية بين الناس، والثالث: اللهجة البدوية التي لا يعرفها إلا من مارسها طويلا، وعاش قريبا من بيئة الشاعر، وتذوق أسلوب الناس في تعبيرهم بما عن خواطهم، فللبادية (عبد الغني مغربي، 1988، ص: 131) قاموس ألفاظ خاص، هو مزيج من المتفصحة ومن العامية أو من اللهجة الخاصة لأهل البادية.

أما لغة الشعر في تصور نقاد الأدب في العصر الحديث فهي: "الإطار العام الشعري للقصيدة من حيث صور هذا الإطار، وطريقة بنائه، وتجربته البشرية، وهو ما تؤدبه اللغة الشعرية من

خلال الصور الشعرية والصور الموسيقية والموقف الخاص بالشاعر في تجربته البشرية" (السعيد الورقي، 1998، ص : 15)

فأسلوب الصياغة الذي يستخدمه الشاعر هو التجربة وهو لغة الشعر، "وكل كلمة في هذا الأسلوب بكل ما يتصل بها من إيقاع وصور ودلالات وموسيقى ومضمون وجه من التجربة، وإن حمل طعما ومذاقا خاصا متباينا إلا أن قيمتها في ذاتها معدومة، فالقيمة هنا في الكلية، كلية العمل الشعري، أو النسيج الشعري بما يشتمل عليه من مفردات لغوية وصور شعرية ومن موسيقى، ومن تجارب بشرية، ومجموع هذا النسيج هو ما أسميه (لغة الشعر)" (المرجع نفسه، ص : 17)

والألفاظ هي وسيلة لإدراك القيم الشعورية في العمل الأدبي ينقل بها الأديب تجاربه مصورا إياها اعتمادا على ما تحمله من دلالات كامنة، لغوية كانت أو إيقاعية أو تصويرية، تتضافر كلها لتكشف لحظة فائقة من لحظات الحياة الشعورية.

والألفاظ في الشعر الصادق " تأتي مملوءة بشحنات عاطفية، تولدها علاقة الشاعر المباشرة باللغة، ورؤيته الفنية المباشرة، التي ينظر من خلالها إلى العالم من حوله، ومن هنا يأتي تفضيل الشاعر في استخدام ألفاظ بعينها دون الأخرى، حيث يختار - أو يجب أن يختار - من الألفاظ ما يعكس تجربته وظروف واقعه الاجتماعي والحضاري، مع مراعاة ذوق الجمهور الذي يتلقى منه" (عبد الله التطاوي، 2002، ص: 245)

واللغة هاهنا أكثر ارتباطا بالشاعر وتجاربه، ولهذا قال عبد المنعم إسماعيل: "والواقع أن علاقة الشاعر بلغته أوثق وأهم من علاقة تجربة القاص أو مؤلف المسرحية، فالشاعر يعتمد على ما في قوة التعبير من إيجاء بالمعاني في لغته التصويرية الخاصة به..." (عبد المنعم إسماعيل، 1981، ص: 129)

ولا شك في أن تجارب الشاعر تجارب شخصية، تؤدي الذات الشاعرة فيها الدور الأكبر، وتبعاً لذلك تكتسب لغة الشاعر طابعاً خاصاً. "فعلى الرغم من أن المبدع يستعمل قوانين اللغة ويستفيد من طاقاتها المعنوية والتركيبية، إلا أنه يستخدمها في كثير من الأحيان وفق رؤيته الخاصة، ولا عجب أن يخرق بعض قوانينها، لأنه كما قال القدماء: يجوز للشاعر ما لا يجوز للنثر عند الضرورة.. فما الشكل إلا دلالة على المضمون" (أحمد قنشوية، (1997، 1998)، ص: 240)

ويمكننا القول بأن النقد العربي القديم لم يركز كثيراً على أثر الجانب الشكلي للغة وتراكيبها في نقل معاني الشاعر وتجاربه، بل اهتم أكثر بمعاني الكلمات، فاللغة "في التصور القديم (وعاء) أو (كساء) ينقل ما يحويه أو يعرض ما بداخله، دون تأثر أو تأثير جوهريين" (جابر عصفور، 1992، ص: 319)

ولكن نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني كانت فتحة نقدياً مبيناً، إذ أثبت صاحب أسرار البلاغة بما لا يدع مجالاً للشك أنه لا مزية للفظ إزاء معناه الإفرادي، إذ الألفاظ - على حد تعبيره - "لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تنقل عليك وتوحشك في موضع آخر..." (عبد القاهر الجرجاني، ص: 38)

فاللفظة ليس لها صفة ذاتية في نظر عبد القاهر ما دامت مفردة، بل هي صيغة أو رمز محايد لا يتسم بجمال أو قبح، إذ إن جمالها وقبحها هما ركن دخولها في كلام وانتظامها في نسق تعبيرى تتواءم دلالتها معه، أو تنفر منه، لأنها حينئذ تصبح لبنة متفاعلة في بناء حي (حسن طبل، 1998، ص: 114 ومحمد حسن عبد الله، 1981، ص: 188)

وإذا كانت لغة الشعر عموما تكتسي كل هذه الأهمية، فإن لغة الشعر الملحون تبدو أولى بالاهتمام نظرا لتعلقها أكثر بتجربة شاعر الملحون الذي يستعمل لغة دارجة ملحونة قريبة من المجتمع الذي يعيش فيه، وهو بذلك يستمدّها من محيطه ووسطه الذي يتفاعل معه ويتأثر به ويؤثر فيه.

من هنا، فإننا سنحاول أن ندرس المعجم اللفظي لدى الشاعر وليد أحمد بن القبي (ولد الشاعر "أحمد بن القبي" بمنطقة (البيازة) الواقعة في الشمال الغربي لدائرة سيدي عامر، وكان مولده يوم الاثنين 12 فيفري 1946 الموافق لـ 12 ربيع الأول يعني ليلة المولد النبوي الشريف).

نشأ الشاعر في أسرة محافظة وثرية جدا، وهو وحيد أمه وأبيه، عاش في أحضان والديه ولكنه لم يتلق تعليما لا في الكتاب ولا في المدرسة، بل كان الرعي هو كل همه، مارس التجارة وهو صبي ثم تزوج ولم يبلغ بعد السادسة عشر من عمره، توفي والده سنة 1965 بعد إصابته بالعمى فكان لهذا الحادث تأثير كبير في تغيير حياته، في سنة 1984 غادر أرض الوطن متجها إلى فرنسا في رحلة سياحية دامت شهرا كاملا.

وفي نفس السنة اتصل شاعرنا بالإذاعة الوطنية بالجزائر العاصمة ليشترك في حصة إذاعية عنوانها (ألوان وفنون من الشعر الملحون)، كما شارك الشاعر في حصة إذاعية أخرى للصحفي "أحمد أمين"، وتعرف على فنانين وشعراء منهم: حرير لخضر، وعبد الرحمان قاسم وعقوب عيسى وفي سنة 1985 زار الشاعر الجمهورية التونسية، وبعد ذلك أي في سنة 1988 قام "ابن القبي" بتأدية فريضة الحج مع أمه، تأثر الشاعر بشعراء منهم: البار عمر وعبد الله بن كريبو.

أما عن بدايته الشعرية فكانت في شهر رمضان سنة 1984 بعد مرض دام مدة عشرين يوما، وما زال "أحمد بن القبي" ينظم الشعر حتى هذه اللحظة... من منطقة سيدي عامر، لنعرف إلى أي مدى استفاد هذا الشاعر من توظيف طاقات اللغة الملحونة وكذا اللغة الفصحى أحيانا.

وسنقسم هذا المعجم اللفظي إلى حقول دلالية، كل الألفاظ المشتركة في نفس المعنى سنضعها تحت نفس العنوان.

ألفاظ الحزن والبكاء:

إن الحزن في قلوب البشر فطرة إنسانية، ومسحة بشرية جعلها المولى عز وجل في قلوب العباد؛ يتألمون بالفجائع، ويشعرون باللوعة، ويتذوقون مرارة المصائب، والحزن شعور معنوي يسري في القلب، ويحل بالجوارح، فيعبر الناس عنه بوسائل مختلفة وطرق متعددة للتنفيس عن كربهم، والدموع من الوسائل التي يعبر بها الحزين عن حزنه والمريض والمتألم عن ألمه، والمنكوب عن نكبته، والدمع الصادق أول خطوة نحو الصبر.

والبكاء ليس مقصورا على أحد دون أحد، فجميع الناس يبكون، وليس الاختلاف بينهم سوى في حدة البكاء، أو قلته أو كثرته.

فهذا نبي الله يعقوب - عليه السلام - يبكي ابنه يوسف سنوات طويلة حتى ابيضت عيناه، قال المولى عز وجل في حالة يعقوب - عليه السلام - : { وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَعَا عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ } (الآية 84) سورة يوسف) وهذه أم موسى حزينة تترقب وتنتظر عودة ابنها إليها بعدما أرضعته وألقته في اليم، وكانت البشرى من المولى سبحانه وتعالى: { فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (الآية 13) سورة القصص)

أما شاعرنا "أحمد بن القبي" فقد بكى كثيرا واستبكى من حوله في العديد من المحطات في حياته، ففي أول قصيدة نظمها في حياته عدد الشاعر كثيرا من الألفاظ الحزينة الدالة على المصير الإنساني المحتوم.

يقول الشاعر:

يَا حُوقِي هَذَا الْمَرَضُ طَالَ عَلَيَّ وَجَائِي فِي رَمَضَانَ شَهْرُ الْمَغْفِرَاتِ
انْعَدَّ بْتُ وَصَارَتْ الْهَانَةُ فِيَّ وَاسْتَقْبَطْتُ الْمَوْتَ خَيْرٌ مِنَ الْحَيَاةِ

(الهانة: المرض والتعب)

(استقبطت: اشتهيت وأحببت)

وقد عانى الشاعر كثيرا من جراء هذا المرض، فجاءت أبياته مشحونة بألفاظ الحزن والألم؛ فالألفاظ هي وسيلة لإدراك القيم الشعورية في العمل الأدبي ينقل بها الشاعر تجاربه مصورا إياها اعتمادا على ما تحمله من دلالات كامنة، لغوية كانت أو إيقاعية أو تصويرية، تتضافر كلها لتكشف لحظة فائقة من لحظات الحياة الشعورية.

والألفاظ في الشعر الصادق تأتي مملوءة بشحنات عاطفية، تولدها علاقة الشاعر المباشرة باللغة، ورؤيته الفنية المباشرة، التي ينظر من خلالها إلى العالم من حوله، ومن هنا يأتي تفضيل الشاعر في استخدام ألفاظ بعينها دون الأخرى، حيث يختار - أو يجب أن يختار - من الألفاظ ما يعكس تجربته وظروف واقعه الاجتماعي والحضاري، مع مراعاة ذوق الجمهور الذي يتلقى منه" (عبد الله التطاوي، 2002، ص: 245)

يصف الشاعر " أحمد وليد بن القبي " أوجاعه وآلامه وعذابه، وقد طال به المرض، وفقد الاستمتاع بصحته، لدرجة أن الحمى كوت جسمه الضعيف وأنهكته، فصار ينتظر الموت المحقق الأكيد. يقول:

راني لأهب بالمرض جار عليّ كواني مثل الجمر في وسط الذات
الكبد حسيّت منو مشوية نبات نقاسي فالليالي
وانهارات

(راني: إني، لاهب: من اللهب يعني اشتعلت نار الحمى في جسدي، جار علي: ظلمي وتسلط علي، كواني: من الكي يعني حرقني بناره)

(حسيّت: أحسست، منو: منه، مشوية: محترقة، نبات: أبيت، نقاسي: أعاني)

فالألفاظ (اتعدبت، صارت الهانة في، استقبطت، الموت، لأهب، كواني، نبات نقاسي) كلّها تدل على إحساس الشاعر بالمرارة والألم واليأس، وهي كلمات ليست مجرد ألفاظ صوتية ذات دلالات صرفية أو نحوية أو معجمية لدى الشاعر، وإن كان في استخدامه لها لا يغفل هذه الدلالات، وإنما هي تجسيم للوجود من وحي اللحظة العابرة.

فالكلمات التي استخدمها الشاعر في هذه الأبيات كلها توحى بالمرض والتعب والألم، وهي تنتمي لحقل دلالي أهم كلمة فيه هي (المرض)، والكلمات التابعة لها (لاهب، جارعلي، كواني، الجمر، الكبد، مشوية، نقاسي، الليالي، انهارات، مفاصل، عضاوات، طبة، عاجوني، أدوية، الضّر)، فعاطفة الشاعر حزينة، ولذا رأينا الألفاظ ملائمة لها، وتأثيرها إنما يقوم على ما فيها من صوت ومعنى، فهي مبنية بناء مزدوجا، وإنها أصوات تعتبر رموزا للمعاني، وهي — أيضا — رموز للمعاني تعتبر أصواتا.

والمعاني التي تحملها الكلمات السابقة تصب في صور خيالية تثير خيال السامع، لأن الشاعر هنا يصف تجربة مر بها، هي بقاءه في فراش المرض لمدة طويلة جعلته يبدأ نظم الشعر بهذه الأبيات، وقد جاءت الألفاظ هنا متجانسة مع المعاني فهي ألفاظ رقيقة حزينة مؤثرة، توفرت فيها صفة الجرس الموسيقي من خلال حروف القلقة وامتزاجها مع أحرف اللين، وكذا استخدام القافية المزدوجة، الياء والتاء.

ولا شك في أن تجارب الشاعر تجارب شخصية، تؤدي الذات الشاعرة فيها الدور الأكبر، وتبعا لذلك تكتسب لغة الشاعر طابعا خاصا. "فعلى الرغم من أن المبدع يستعمل قوانين اللغة ويستفيد من طاقاتها المعنوية والتركيبية، إلا أنه يستخدمها في كثير من الأحيان وفق رؤيته الخاصة، ولا عجب أن يخرق بعض قوانينها، لأنه كما قال القدماء: يجوز للشاعر ما لا يجوز للنثر عند الضرورة... فما الشكل إلا دلالة على المضمون" (أحمد قنشوبة، (1997، 1998) ص : 240)

وسنستعرض بقية الألفاظ الموحية بالبكاء والحزن في الأبيات الشعرية القادمة بوضع خطأ تحتها لتمييزها عن بقية الكلمات في المعجم اللفظي للشاعر.

يقول الشاعر في قصيدة أخرى زهدية تصوفية:

كِي نَتَفَكَّرُ حَالِي كِي كُنْتُ أَصْغِيرُ نَبْكِ بِالْذَمِّ الْكُثْرَةَ مَقْوَاني

ويقول:

اِذْمُوعِي وَبِدَانْ وَسْطُ الشَّيْبِ اِثْسِيرُ كِي نَتَفَكَّرُ حَالِي شَاوْ اِزْمَانِي

مجلة أنثروبولوجية (الأويان) المجلد 16 (العدد 01) بتاريخ 15 جانفي 2020م

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

والشاعر يعرف جيدا مصير هذه الحياة، فهي ليست سوى آهات ومواويل مصيرها الدار الآخرة (يتحدث الشاعر عن الحياة الدنيا محذرا من خداعها ومكرها، ولكن هذا في الحقيقة هو مكر من الشيطان) حيث يقول:

كَيْمَا كُنْتُ أَنَا بُشَاوِي فِي لَوْلُ لَعَبْتَلِي فِدَّاهُ خَطْرَةٌ مِنْ قُنْبَاصُ
دَخَلْتُ بِيَا فِي ظُلَامٍ يَبَانُ أَكْحَلُ دَاخِلُ وَسْطُو زَادُ يَظْلَامُ وَيَدْكَاسُ

(كيما : كما، بشاوي: في بدايتي، لول: الأول، لعبتلي: من اللعب يعني خدعتني ومكرت بي، فدهاه: كم من، قنباص، حيلة وخديعة، خطرة: مرة)

(بيان: يظهر ويتجلى، اكحل: أسود، وسطو: وسطه، يظلام: يظلم، يدكاس: يزداد ظلاما)

ولقد كان اهتمام الشاعر "ابن القبي"، بالحزن كظاهرة من ظواهر الحياة، يدل بوضوح على معاناته الذاتية، وتحمله مسؤولية الآخرين، وعذابه من أجلهم، فحوت أشعاره عبارات الشكوى والأنين والمساء والسحب القائمة وصروف الدهر والموت، وبعض المواقف التي يمكن أن تثير شيئا من الأحزان الخاصة كجفاء الحب والبعد عن الوطن والشوق إليه ورتاء أحدهم وغيرها.

يقول الشاعر مخاطبا الحياة الدنيا:

فَرَأَيْتُ حَبَابَ رَاهَا بِحَذَايَا تَسْمَعُ غَيْرُ فَلَانٍ حَيٍّ وَقَالُوا مَاتُ

(راها: إنها، بحذايا: من ورائي)

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد 16 العدد 01 بتاريخ 15 جانفي 2020م

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ولكنَّ نهاية الإنسان هي دائما نهاية واحدة، ومصيره هو دائما مصير أزلٍّ واحد، ولا بد لكل بناء شامخ أن يتهدم يوما ما، وكل جدار ساقط لا محالة، وقد عرف الشاعر "ابن القمي" ذلك، ومرت عليه رياح الحزن واليأس والخيبة...

وفي قصيدة أخرى تشبه القصائد الجاهلية في كل مراحلها، حتى في افتتاحيتها الطللية، يفجر الشاعر مشاعره الحزينة، وترتبط حالته النفسية بحالة الجو من حوله، يقول:

غَيْمٌ امْسَدِي عَالْتَنَايَا دَارُ اكْدَارُ واجْرِخْ لِي قُلْبِي وَعَيْنِي بَكَاها
مَا يَصْحَاشِي عَالِدَزَايِرُ طُولُ انْهَارُ تَبْكِي عَيْنِي كِي انْراعي هَوَاها

(غيم: سحاب، امسدي: متراكم، عالطنايا: على الأركان والجهات، دار: أنشأ وشكّل (تقرأ الدال مخففة وكذلك الراء وليست من الدوران)، اكدار: كتل مختلطة)

(ما يصحاشي: لا يصحو (لا يتعد ولا ينقشع)، عالدزاير : على الجزائر (العاصمة)، طول: طيلة، كي : عندما أو حينما، انراعي: أراعي وأنظر، هواها: إلى هواها)

قلنا سابقا بأن الشاعر "أحمد بن القمي" ولد في منطقة رعوية، وترعرع وشبّ فيها ولكنه عندما انتقل إلى المدينة مع أسرته، اشتاق إلى مكان ولادته وأخذ الحنين إلى ذلك النسيم الهادئ المنعش في تلك الأمسيات المليئة بالأفراح.

يقول الشاعر مشتاقا، وقد أخذته اللوعة والحنين، وتنازعته لواعج الأسى والندم:

ابْكَيْتْ وَوَلَيْتْ رَاجِعْ لِلْجُرَّةِ فَاتُونِي دَمْعَاتِ طَاحُو مِنْ لَعِينَانِ
مَا هَمَشْ يَصْبُو يَطِيحُو بِالْفُطْرَةِ عَلَى الْجِيَهَاتِ يَكْفَحُو مِثْلَ الْوَيْدَانِ
نَلْفَى الصَّحْرَا خَالِيَةً فَعُدْتُ فُقْرَةً ابْقَيْتْ اهُومَ كَيْمَا مَالُ الْحَيَوَانِ

(وَلَيْتْ: رجعت ، الجُرَّة: آثار الحركة على الأرض، فاتوني: سبقوني، طاحو: سقطوا، لعينان: العينان)

(ماهمش: لبسوا، يَصْبُو: ينزلون الدمع، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: { أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا } الآية (25) سورة عبس، يَطِيحُو: يتساقطون، يَكْفَحُو: يسيلون بغزارة، الوديان: الوديان)

(نلفى: أجد، الصَّحْرَا: الريف أو البادية، فَعُدْتُ: بقيت، فُقْرَة: قفار، ابقيت: ظللت، اهُوم: أهوم، كَيْمَا: كيما (وشددت الميم للضرورة الشعرية في النطق): مثل، مال الحيوان: الحيوانات (الأنعام)

وهنا ينتهذ الشاعر تنهيدة طويلة يخرج معها كل مكبوتاته، تنهيدة تخرج معها كل أحزانه وهمومه، وهي تعبير صادق عن عشق دفين للبادية، تنهيدة ندم ولكنها تحمل في ثناياها بعض الأمل:

صُرْتُ اْمَنْدَمَ وَشْ اِدَانِي لِلصَّحْرَا رُحْتُ اِنْوَسَعْ خَاطِرِي زِدْتُو لِحَزَانِ

(امندم: نادم، وش: ما الذي، اداني: أخذني، انوسع: أوسع، زدتو: أضفت له، لحزان: الأحزان)

ونجد الشاعر استخدم قافيتين الأولى: كان حرف رويها الراء والثانية حرف رويها النون؛ وصوت النون له قيمة صوتية موسيقية تناسب جو القصيدة وإيقاعها العاطفي فالنون صوت لثوي أنفي متوسط بين الشدة والرخاوة مجهور، وهذا يتفق مع طبيعة تجربة الشاعر التي تدور حول البين والترحل، وكما أن هذا الصوت يكون من طرف اللسان وما فوق الثنايا فالموضوع يدور حول عدد الأشواق الملتهبة التي قد تؤدي بنهاية الإنسان.

وموقف الشاعر في تجربته الشعرية هذه موقف الإنسان الحزين والمنفعل في نفس الوقت، فالشاعر "ابن القبي" حزين ومتألم لمنظر البادية التي صارت قفارا، غاب عنها الأحباب والأصحاب والرفاق...

ويعترف الشاعر بحيرته وشروده وحرقة قلبه وبكائه المتواصل، وعدم حبه للحياة في مجتمع فرنسي غريب عنه في كل شيء، فيصف حالته ويقول:

فَرَفَرُ قَلْبِي وَالْعَقْلُ حَسَيْتُو طَارُ
امْفَرَفَرُ قَلْبِي وَقَادِي مَشَعَالُو
لَيْلُ نَقَاسِي فِيهِ عَتَى عَادَ اَنْهَارُ
وَدُمُوعِي وَيدَانُ بِالْكُثْرَةِ سَالُو

(فرفر: اشتاق، حَسَيْتُو: أحسسته، قادي: متقد ومشتعل، مشعالو: من الشعلة والاشتعال)

(نقاسي: أقاسي، عاد: صار وأصبح)

ويشتاق الشاعر لإخوانه (أولاد نايل) الذين يحبهم كثيرا، ويتألم كثيرا لفراقهم وصعوبة اتصاله بهم، فيبكي الشاعر في صمت الكلمات:

وَلَدَتْ نَائِلٌ بَرَّهْمَ جَائِي كَوْدَةَ غَطَّاهُمْ غَيْمٌ السَّمَاءِ بِسَحَابُو دَارُ
حَطُّ خَيَالُو دُوْنَهُمْ صَالُو مُدَّة لَا بَا يَرْحَلُ زَادُ عَالِطَارُ تَحْيَارُ

(كودة: بعيد جدا)

(حطّ: وَضَعَ، خَيَالُو: الحيال هو الستار الفاصل بين جهتي الخيمة، لا با: أبي ورفض)

ومن خلال هذه الدراسة للغة الشعرية عند الشاعر "وليد أحمد بن القبي" سنحاول أن ندوّن بعض الملاحظات الهامة في نظرنا:

1- إن معجم الألفاظ لدى الشاعر "ابن القبي" يكاد يكون فصيحاً في أغلبه بغض النظر عن التعديلات التي يدخلها الشاعر على اللفظ - من قبيل الاستعمال الدارج - بتغيير أحد حروف اللفظ، أو ترتيبها داخل الكلمة، أو باستعمال بنية مختلفة أو صيغة صرفية خاصة.

2- يكثر الشاعر "أحمد بن القبي" من استخدام ألفاظ خاصة في معجمه الشعري، ونذكر منها خاصة ألفاظ الحزن والبكاء، لأن الشاعر - كما يقال - يشعر بما لا يشعر به الآخرون، فتأثر الشاعر بما يحدث في المجتمع واضح وجليّ، وقد أثّر ذلك على نفسية الشاعر بطريقة غير مباشرة، وفي لاشعوره، كُتِبَتْ هذه المشاعر الحزينة ثم تفجّرت على مستوى "الأنا" لتطفئ على أغلب قصائده.

3- أنّ لغة الشعر الشعبي (الملحون) إذا كتبت ماتت، لأن الشعر الملحون يستخدم لهجات خاصة متفرعة عن اللغة الأم، وهي لهجات ملحونة لم تراعى قواعد اللغة، فاللغة في الشعر الملحون هي سماعه من أفواه قائله أو رواته، وليس قراءته من الكتب، فاختلاف اللهجات واختلاف نطق الحروف

والكلمات من قبل شعراء الملحون، كل هذا يؤدي إلى عدم فهمه وبالتالي إلى احتقاره والخط من قيمته ومستواه.

4- وظف الشاعر (أحمد بن القبي) عواطف شتى في قصائده بطريقة تلقائية عفوية، وجاءت عاطفة الحزن مسيطرة على أغلب هذه العواطف لأن الشاعر - كما قلنا - كثير البكاء والحزن.

5- موسيقى القافية - بما في ذلك حرف الروي - في قصائد "أحمد بن القبي" لا تختلف عنها في الشعر الرسمي، بل على العكس فإن وجودها في قصائد شاعر كهذا هو أكبر دليل على الموهبة التي يملكها الشاعر "ابن القبي" و خاصة مع هذه القافية المزدوجة وحروف الروي التي اختارها بكل عناية مع أنه اختيار عفوي تلقائي للروي والقافية.

بعد هذا؛ يمكننا القول مع عبد الله التطاوي بأن الشعر "تركيب لفظي له رسالته، على ألا يتطرق ذلك إلى حدّ الاقتصار على الزخرفة الجرسية فقط، بل تظل للشعر رسالة هي خلاصة تجارب ذات الشاعر مع واقعه، ويظل معمار القصيدة قائما على أساس الألفاظ وجمل لها وضع معين في التركيب الشعري، مما يعطيها قدرا من الحيوية والنشاط السمعي، نتيجة تناسق اللفظ والمعنى، وبهذا يمكن قياس أصالة الشاعر في التعبير بصورته" (عبدالله التطاوي، 2002، ص: 238)

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد قنشوية، الشعر الشعبي في منطقة الجلفة (1940-1990) دراسة فنية تحليلية، إشراف الدكتورة روزلين ليلى قريش، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية (1997، 1998)
2. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992.

مجلة أنثروبولوجية الأديان (الجلد 16 العدد 01 بتاريخ 15 جانفي 2020م)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

3. حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية دار الفكر العربي، القاهرة ، ط1، 1998.
4. السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1998.
5. عبد الغني مغربي، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية الجزائر، 1988.
6. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، بيروت، دار الكتب العلمية.
7. عبد الله التطاوي، الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.
8. عبد المنعم إسماعيل، نظرية الأدب ومناهج الدراسات النقدية، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1981.
9. محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، مكتبة الدراسات الأدبية (دار المعارف)، القاهرة، 1981.